نشأة الاستعمار وتطوره

آدب ولد سيد امحمد
قسم التاريخ
جامعة العيون

يرجع اهتمامنا بظاهرة الاستعمار ونشأته إلى أنه كان عنوان مادة تدريسنا لطلبة قسم التاريخ والحضارة بجامعة نواكشوط لعدة سنوات، والكلام عن الاستعمار حديث ذو شجون، ومن المعروف أنه بعد انحسار القرون الوسطى التي امتدت إلى القرن الخامس عشر الميلادي دخلت أوربا وخاصة الأجزاء الغربية منها في عصر جديد أصطلح على تسميته بعصر النهضة، الذي امتد ثلاثة قرون من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر عندها دخلت أوربا العصر الاستعماري الرأسمالي لشعوب القارات المغلوبة على أمرها وغيرت وجه التاريخ العالمي من خلال تقدمها العلمي والتكنولوجي وما تبعه من تغيير في أنماط السلوك والأخلاق والقيم الاجتماعية.

تعتبر ظاهرة الاستعمار ظاهرة بشرية بامتياز فقد لازمت التاريخ الإنساني منذ بدايته[1]، وهو ما نجده عند الجماعات البشرية الأولى في بحثها عن أسباب العيش ووسائله، والاستعمار كلمة محدثة مشتقة من فعل عمر[2] واستعمره في المكان أي جعله عامرا أي آهلا، ومنه قوله تعالى: {هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها} (هود: 61) فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي فالاستعمار هو ظاهرة تهدف إلي سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من اجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، و الاستعمار حسب ما جاء في المعجم الوسيط[3] هو استيلاء دولة أو شعب على دولة

---

[1] – عبد الجليل علي مصطفى الخليل، حركات التحرر الوطني في العالم الثالث، الجامعة المفتوحة، طرابلس الغرب، ط1، 2000م، ص21.

[2] – مجموعة من المؤلفين، معجم المنجد الإعدادي، دار المشرق، لبنان، ط5، 1987م، ص36.

[3] – مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة، 2010م

أخرى وشعب أخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة، وهذا التعريف يشمل أنواع مختلفة من الاستعمار لا تختلف عن بعضها إلا بالأسماء وبعض الأشكال، فمن أشكال الاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار، وقد تعددت التعريفات للاستعمار، وقد عرفه كوامي نكروما بأنه سيطرة دولة على دولة أخرى واستخدام هذه الدولة المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر، واستغلاله اقتصاديا[1]، ولعل تعريف الأستاذ الدكتور(محمد عوض محمد) هو أكثر هذه التعريفات شمولا فقد عرف الاستعمار بأنه:" العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد"[2].

ويرجع الاستعمار الحديث إلى إفرازات ونتاج النهضة الأوربية ولابد من التوقف عند بعض العوامل التي أدت إلى نهضة أوربا.

1 – عوامل قيام النهضة الأوربية

ترجع النهضة الأوربية في حد ذاتها إلى جملة من العوامل المتشابكة التي يصعب الفصل بينها[3].

فهي التي هيأت الظروف الملائمة وخلقت الأرضية الصلبة فبعد أن عانت أوروبا من سيطرة الكنيسة على الروح العلمية والثقافية وسيطرة النظام الإقطاعي على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ظهر فكر جديد، ومفاهيم جديدة تدعوا إلى التحرر والتخلص من قيد كنسي وإقطاعي عنيف جثم على كل مظاهر الحياة الأوروبية في العصور الوسطى.

ويمكن أن نميز عدة أنواع من العوامل التي أدت إلى قيام هذه النهضة وهي عوامل داخلية وعوامل خارجية وسنذكر مثالا لكل منهما.

---

1 – كوامي إكروما، نحو تحرير المستعمرات، ترجمة عبد العزيز عتيق، 1958م، ص48

2 – محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، القاهرة، 1957م، صص 38–39

3 – عبد الفتاح حسين أوعليه، إسماعيل أحمد باغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، ط3، الرياض، 1993م، ص21

وتتحدد العوامل الداخلية في العديد من المظاهر والتجليات ومن هذه المظاهر قيام المدن.

أ – ظهور المدن:

تعد المدن عاملا مهما وأساسيا في قيام النهضة الأوربية فداخل هذه المدن تجمع المفكرون والتجار والحرفيون فنشأت بذلك طبقة اجتماعية جديدة لا تعتمد على الأرض بشكل كبير وإنما تعتمد على التجارة والصناعة فقد كان النظام الإقطاعي في العصور الوسطى يعتمد على القرى والأرياف فكانت القرية هي الوحدة السكنية والاقتصادية والاجتماعية وكانت العلاقات الاجتماعية القائمة هي علاقات سادة وعبيد.

بينما أدت نشأة المدينة الأوربية على خلفية نمو التجارة والصناعة إلى قطيعة بين الفرد والمجتمع وسيطرة طبقة النبلاء والإقطاع وأصبحت المدينة مركزا للإشعاع الثقافي والحضاري، وقد ظهرت هذه التطورات أولا في المدن الايطالية كجنوه وفلورنسا والبندقية وروما وبعد ذلك تبلورت أكثر في كل من إسبانيا والبرتغال اللتين قامتا بالاستيلاء على التراث الإسلامي العربي في الأندلس بعد سقوط غرناطة عام 1492م، ونتيجة لنشأة المدن الحديثة في أوربا فقد حدثت منافسة فكرية إيجابية خاصة بين المدن الإيطالية كان الهدف منها دراسة المخطوطات الإغريقية والمخطوطات القديمة، ونادي البعض منهم أن الفرد لا يمكن أن يتبوأ مكانة رفيعة في المجتمع ما لم يكن على حظ وفير في هذه الدراسات، وكانت الكنائس والأديرة تزخر بعدد كبير من المخطوطات، وقد أطلق مصطلح جديد "الدراسات الإنسانية " على كل من يهتم بالحركة الفكرية والتراث الإنساني (الأوربي) القديم أي الدراسات الإغريقية واللاتينية[1].

ب – أثر الحضارة الإسلامية:

وهو من أهم العوامل الخارجية التي ساهمت في النهضة الأوربية الحديثة، ومما لاشك فيه هو إسهام الحضارة الإسلامية في نهضة الأوربيين كثيرا من التراث الإسلامي والعربي في الأندلس بعدما سقطت غرناطة في أواخر القرن 15م مما جعل الجزيرة الأيبيرية تضع يدها على أغلب المخزون الثقافي والعلمي الكبير الذي كانت تضمه الحواضر الإسلامية في الأندلس والذي يشمل

---

[1] – شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا من النهضة وحتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص 13.

كل الفنون من طب وهندسة وعلوم فلك وفلسفة يونانية، وتعد الحضارة العربية الإسلامية هي المؤسس لمعظم العلوم العصرية التي قامت على أكتافها الحضارة الغربية باعتراف جهابذة علماء الغرب ومفكريه[1]، ومما لا ريب فيه أن مراكز الشرق الأدنى الإسلامية التي تعرضت للحملات الصليبية كان لها دور كبير في الصلات الثقافية بين أوربا والحضارة العربية الإسلامية وهو ما ساعد الأوربيين على الاطلاع على تقدم المسلمين في مختلف أنواع العلوم والفنون من رياضيات وجغرافيا وتاريخ وفلك[2].

ونتيجة لهذا الاحتكاك والاتصال بين العالم الإسلامي وأوربا حصل التلاقح والتأثر، وفي هذا السياق يورد مؤلف كتاب "تاريخ أوربا الحديث والمعاصر"[3] شهادة في هذا الصدد للمؤرخ الغربي "هربرت جون ويلز" الذي ألف كتابا موجزا عن تاريخ العالم يقول فيه:" وهكذا حدث أن التجميع والنقد المنظم للحقائق الذي بدأه الإغريق لأول مرة عاد سيرته الأولى في ثنايا النهضة المدهشة التي عرفها العالم الإسلامي لقد تم للعرب (المسلمين) في حقول العلوم الرياضية والطبية والطبيعية ضروب كثيرة من التقدم ،فنبذت الأرقام الرومانية القبيحة وحلت محلها الأرقام العربية التي نستعملها إلى يومنا هذا واستعملت علامة الصفر لأول مرة ،ولا يخفى أن اسم (الجبر) نفسه عربي وكذلك كلمة (كيمياء) ثم إن أسماء نجوم كنجم الغول والدبران والعواء تحتفظ بذكرى فتوح العرب في أطباق السماء، وبفضل فلسفتهم عادت الحياة إلى فلسفة القرون الوسطى...".

ولا تقتصر عوامل النهضة الأوربية على هذا فقط بل إنها تشمل العديد من الأفكار والآراء لا يتسع الحديث لذكرها في هذا البحث نتيجة لإكراهات المنهجية المتبعة.

ولما كانت البرتغال واسبانيا في منأى عن الصراعات الأوربية سارعوا إلى حركة الكشوف الجغرافية وهي أولى حلقات الاستعمار الأوربي لشعوب العالم، لقد أدت هذه المرحلة إلى الحصول على الكثير من الأموال والربح وجمع العديد من المعلومات الجغرافية والعلمية عن إفريقيا والعالم الجديد والشرق.

---

[1] – ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوربية وقضية الحرية، منتديات ليل الغربة، 2009م، ص 10.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م، ص 7.

[3] – عبد الفتاح حسين أوعليه، إسماعيل أحمد باغي، مرجع سابق، ص 18.

والكشوف الجغرافية لا تخرج بأي حال عن كل ذلك في أي مجهود كشفي قامت به الأمم الأوربية أكان ذلك للقارة الإفريقية أم لآسيا بل وحتى مناطق الهنود الحمر المعروفة الآن بالولايات المتحدة الأمريكية[1]، علما أن أوربا قامت بالكشف الجغرافي والاستعمار والاستيطان في عصور نهضتها القديمة إبان الحضارة الرومانية واليونانية وغيرها[2].

وإذا نظرنا إلى النتائج العامة لكل الكشوف الأوربية في العالم نجدها تشمل ثلاثة جوانب هي:

1 – تلبية معظم الحاجات التي خرج الكشافون من أوربا لأجلها مثل إشباع الغرائز الشخصية كحب المغامرات والحاجات ذات الطابع الاقتصادي كالذهب والحجارة النفيسة وتأمين طرق تجارية بعيدا عن العثمانيين ومعرفة منابع الأنهار وخلافها.

2 – معرفة أراضي جديدة هي أستراليا والأمريكيتين والقارة القطبية الجنوبية وبعض أجزاء إفريقيا برأس رجائها الصالح الذي حل إشكال الطريق إلى شرق آسيا، وتبعا لذلك تغيرت الخرائط القديمة وعرف الأوربيون تفاصيل الأجزاء الداخلية للقارات وخاصة قارة إفريقيا.

3 – الفوائد العلمية التي أدت إلى توسيع المعرفة الجغرافية ورسم الخرائط وتصحيح القديمة منها كالتي تتعلق بالرياح التجارية والرياح العكسية، وقد عرف الأوربيون نباتات وحيوانات ما كانوا يعرفونها من قبل، كما أفادوا من كل العلوم التي وجدوها في كل البلاد المكتشفة ونشروا ما عندهم من تقنيات ولغات ومهارات اقتضتها حركتهم لتحقيق أهدافهم[3].

كان لحركة الكشوف الجغرافية الأوربية نتائج عكسية على شعوب قارات العالم حيث أدت إلى الاستعمار التجاري أو الماركانتيلي وهو أولى حلقات وفصول مسلسل الاستعمار الحديث، حيث صارت مستعمرة من قبل فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وايطاليا واسبانيا وألمانيا والبرتغال مع أن الأخيرة هي السابقة منذ أمد بعيد في الكشف والاستيطان، ويمكن القول إن الكشوف الجغرافية هي الوجه المضيء للنهضة الأوربية بينما الاستعمار هو الوجه القبيح لهذه النهضة[4].

---

[1] – مصطفى محمد علي، الكشوف الجغرافية الأوربية للقارة الإفريقية، جامعة جوبا، بدون تاريخ طبع، ص 2.

[2] – عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، 2000م، ص 34

[3] – مصطفى محمد علي، مرجع سابق، ص 13

[4] – شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص22.

وتمتاز المرحلة الأولى من الاستعمار بكونها مرحلة تجارية وكشفية لم تسجل فيها توغلات كثيرة إذا استثنينا مراكز تجارية ساحلية كبعض الشواطئ الإفريقية والخليجية والعالم الجديد المكتشف.

وقد بلغت النزعة الماركانتيلية أوجها في هذه المرحلة حيث تنافست فيها اسبانيا والبرتغال على الحصول على العديد من الثروات من الذهب والفضة والرقيق خصوصا من السواحل الإفريقية.

لقد أدت الأرباح الطائلة التي جنتها البرتغال واسبانيا من هذه المرحلة إلى دخول دول أوربية جديدة مثل هولندا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وبلغ التنافس ذروته واستخدم السلاح والقوة العسكرية في بعض فصول هذا التنافس.

لقد تسارعت وتيرة التصنيع في أوربا وخصوصا مع الثورة الصناعية التي بدأت في بريطانيا فازداد الطلب على المواد الأولية من أجل تزويد المصانع وتطورت الأفكار الاقتصادية وظهرت الرأسمالية الحديثة التي تهدف إلى الحرية التجارية القائمة على تنمية رؤوس الأموال والبحث عن أسواق حرة لتصريف البضائع ومع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م تراجعت قوة البرتغال واسبانيا وانفردت دول جديدة مثل فرنسا وبريطانيا بالسيطرة الاستعمارية وسيبلغ معهما الاستعمار الحديث ذروته وأوجه، لقد بدأت مرحلة جديدة من الاستعمار بلغ فيها الاستغلال واستنزاف خيرات إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حدا منقطع النظير وفي هذه المرحلة ازدادت النزعة الاستهلاكية في البلدان المستعمرة وأصبحت البضائع الأوربية جزءا لا يتجزأ من العادات الغذائية في هذه البلدان وارتبطت ارتباطا وثيقا بالرأسمالية العالمية وأصبحت دول العالم الثالث مجرد سوق استهلاكية كبرى لأوربا وخزانا هائلا للمواد الأولية، فازداد اندفاع فرنسا وبريطانيا إلى استعمار بلدان جديدة وتحت دوافع وأسباب مختلفة.

2 – أسباب ودوافع الاستعمار الحديث:

مع أن الاستعمار الحديث بدأ في القرن الخامس عشر، إلا أن الأوربين لم يتوغلوا في المناطق العالمية أكثر إلا في القرن التاسع عشر، وقبيل نهاية القرن على وجه الخصوص ظهرت دوافع وأسباب جديدة أدت إلى النهم الاستعماري فأخذت الدول الأوربية تتوغل داخل بلدان العالم، وأراد بعض ساسة أوربا أسسا تتحرك في إطارها هذه الدول لمد نفوذها، وقد تعددت دوافع الاستعمار

وتشابكت وتعقدت حتى صعب معها أن تميز أي دافع دون غيره، حيث تدخل الدافع الاقتصادي بالاستيراتيجي وتحت إطار الدين ونشر الحضارة والثقافة في بعض الأحيان ومن أهم هذه الدوافع:

أ -الأهداف السياسية:

وتتمثل الأهداف السياسية في تحسين مركز الدولة الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على سلم القوى الدولي إذ أن بقاءها متفوقة على المسرح العالمي مرتبط بما تملكه من مستعمرات، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارات الدولية وتوجيهها لصالحها، ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام 1884م مؤشرا على ذلك، فقد عقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ.

ويفسر العالم الأمريكي هانس مورغانثو الامبريالية بأنها" سياسة تستهدف قلب الوضع القائم والقيام بمراجعة علاقات القوى بين دولتين أو أكثر من أجل تحقيق تفوق محلي أو إقامة إمبراطورية قارية أو تحقيق هيمنة عالمية ويرى أن الدول كالأفراد لديها " شهوة القوة" أي الرغبة في تحسين وضعها باستمرار، من غير الاقتناع بالوضع القائم.

ولكي تتمكن الدول الاستعمارية من تعزيز مركزها الدولي في إطار هذا التنافس، لا بد لها من زيادة مواردها، وهو أمر يستدعي البحث عن موارد خارج حدودها، فقامت هذه الدول بالإجراءات الآتية:

- تمويل بعثات الاستكشافات الجغرافية التي تستهدف البحث عن مناطق غنية بالموارد أو يمكن الاستثمار فيها، ومن أمثلة ذلك تمويل رحلة فاسكو دي غاما البرتغالي الذي اكتشف الطريق إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في رحلته التي دامت من (1497- 1498) وتمويل الأسبان لبعثة كريستوفر كولومبوس الذي اكتشف السواحل الأمريكية (البهاما) عام (1492) وتمويل بعثة ماجلان الذي وصل إلى سواحل أميركا الجنوبية عام (1519)، وعبر الباسيفيكي (الهادي) إلى الفلبين حيث قتل هناك، واكتشاف شبه القارة الاسترالية، وتواصلت هذه الحملات حتى القرن التاسع عشر من بعثات بريطانية وفرنسية وألمانية...الخ.
- الاحتلال العسكري المباشر للمناطق الغنية بالموارد، وإرسال موجات من المستوطنين في بعض الأحيان إلى المناطق التي تمت السيطرة عليها.

ومن أمثلة الاحتلال العسكري المباشر: الاحتلال البرتغالي لبعض شواطئ الخليج العربي بقيادة القائد البوكيرك وشواطئ المحيط الهندي، الاحتلال البريطاني لعدن عام (1839)، ولمصر (1882)

والاحتلال الفرنسي للجزائر عام (1830) والاحتلال الاسباني لمناطق من المغرب 1912، أما المناطق التي عرفت استعمارا استيطانيا فمن أمثلتها: الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وشيئما الجزائر والاستيطان الأوربي في جنوب إفريقيا وفي أستراليا ونيوزلندا.

– السيطرة على المواقع: يستدعي تعزيز المركز الدولي للدولة الاستعمارية سيطرتها على المواقع التي تمثل مراكز، يمكن منها السيطرة على طرق المواصلات أو التحكم بمنابع بعض الأنهر أو مجاريها، أو منع تشكيل أحلاف متصلة جغرافيا مع بعضها.

– استخدام بعض المناطق المستعمرة لإجراء التجارب النووية: أجرت فرنسا تجربتها النووية الأولى في الصحراء الجزائرية عام (1960).

ب– الدافع الديني:

لقد انتهى الصراع بين المسلمين والمسيحيين في شبه جزيرة أيبيريا بخروج المسلمين نهائيا منها سنة 1492م، فأصبحت الأندلس بالنسبة للمسلمين الفردوس المفقود، وبعد الانتصار المسيحي اتجهت القوات البرتغالية والاسبانية إلى الساحل الإفريقي المقابل، وحملت البرتغال لواء حركة دينية سميت بحركة الاسترداد المسيحي[1].

في الوقائع المسلم بها أن عمليات التنصير أو التبشير ارتبطت ارتباطا وثيقا بالاستعمار وواكبته واستمدت منه كل عون وتأييد وسعت لتثبيت نفوذها وانتشارها من خلاله، وقد أخذ الاستعمار يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والإلحاد والانحلال في نفوس الشباب، وبذل مجهودات جبارة لتربيتهم على السخرية بمقدسات الأجداد والتقاليد الموروثة ليخلق جيلا يؤمن بأوربا وحدها ويقلدها تقليدا أعمى[2]، وقد انطلقت أوربا من نظرية مفادها أنها هي مركز العالم الحضاري والديني، وأن عليها رسالة حضارية خالدة يجب أن تنشرها وتبثها في بلدان العالم الغير أوربي المتخلف والجاهل والهمجي البربري، وقد ارتبط عدد من الحملات الاستعمارية من البرتغال واسبانيا وفرنسا وبريطانيا بوجود بعثات وإرساليات تبشيرية دينية، وقد نجح عدد منها في تنصير

---

[1] – فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1997م، ص 159

[2] – محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كردية، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007م، صص 170–171.

قطاعات من سكان المستعمرات، وكان أبرز حالات النجاح في هذا المجال في الدول الإفريقية مثل جنوب السودان وجنوب إفريقيا.

ويرى العديد من الباحثين أن الدافع الديني ما هو إلا غطاء من أجل التستر على الوجه الاستعماري الحقيقي المتمثل في البحث عن الثروات والخيرات بغية استنزافها ووضع اليد عليها ولتحقيق هذه الأهداف الكبرى وضعت الدول الاستعمارية سياسات خاصة تهدف إلى إحكام السيطرة على هذه البلدان وتسهيل الاستعمار وانسيابيته، والعامل الديني الذي تسابقت إليه الجمعيات المسيحية لم يكن إلا وسيلة لتبرير الاستعمار[1].

ج – الدافع الاقتصادي:

يعتبر الدافع الاقتصادي من أهم الدوافع بالنسبة للأوربيين ويكاد يكون هو الدافع الأوحد للاستعمار، وذلك لأن أوربا كانت تعرف نهضة صناعية كبيرة وما يتطلب ذلك من حصول على المواد الأولية، بغية السيطرة على التجارة العالمية والبحث عن المعادن النفيسة والأسواق، وقد واجهت أوربا عدة صعوبات منها:

1 – اتضح للدول الصناعية حاجتها المواد الخام التي تدخل في الصناعة

2 – أدت الثورة الصناعية إلى تركيز الصناعات في المدن مما أدى إلى هجرة الفلاحين وحدوث نقص في المواد الغذائية لسكان المدن الصناعية الذين تزايد عددهم

3 – أدى استعمال الآلات الحديثة إلى حدوث إنتاج كبير أكثر من حاجة الدول المنتجة فكان لابد من وجود أسواق محتكرة وعملاء تجاريين في الخارج لبيع المصنوعات.

ولقد وجدت الدول الأوربية حل هذه الصعوبات في إفريقيا وآسيا حيث تتوافر المواد الخام من مطاط وبترول وذهب وقطن وحديد ونحاس ومنغنيز وغير ذلك من المواد الخام، كما توجد أسواق لاستهلاك الفائض من الإنتاج وكان أصحاب رؤوس الأموال يطالبون بإلحاح شديد في امتلاك المستعمرات[2].

وقد تمكنت الدول الأوربية من التوغل بعيدا واستعمار واكتشاف مناطق جديدة لاستعمارها.

---

[1] – فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص160

[2] – نفس المرجع، ص 160 – 161.

د- الدافع الاستراتيجي:

الإستراتيجية في الأصل مصطلح يوناني يدل على فن العلوم العسكرية والخطط الحربية فكثر استعماله وأصبح يدل على الشيء المهم يقال بموقع استراتيجي أي موقع له أهمية خاصة وتتحدد طبيعة هذه الأهمية تبعا لمعطيات جغرافية أو اقتصادية أو حضارية[1].

ويعتبر الدافع الاستراتيجي أحد الدوافع المهمة في عملية الاستعمار، فالسيطرة على المواقع المهمة تسهل العملية الاستعمارية، فالأماكن المرتفعة والواقعة على المحيطات والسواحل والأنهار هي مواقع إستراتيجية ومهمة للدولة الاستعمارية ويكمن ذلك في سهولة الوصول إليها وتموين خطوط الإمداد إليها كما قد تمكن هذه المواقع الإستراتيجية من استعمار مناطق جديدة والتحكم في التجارة العالمية وقد سيطرت فرنسا في إفريقيا على مناطق إستراتيجية فالجزائر مثلا وهي تواجه الساحل الفرنسي على البحر الأبيض المتوسط، كانت نقطة تنافس بين فرنسا وانكلترا، لأن الأخيرة كان لها نفوذ في تركيا ومصر ومنطقة الشرق البحر المتوسط وكانت تريد الانطلاق من الجزائر ولذلك سارعت فرنسا لاحتلال الجزائر سنة 1830م، كما سيطرت بريطانيا على أهم المضايق العالمية كقناة السويس وخليج عدن وباب المندب وجبل طارق.

ولا تقتصر دوافع الاستعمار على الديني والاقتصادي والاستراتيجي فقط، فقد روج الاستعمار للدفاع عن حقوق الإنسان باعتبارها من أهم المبادئ التي ينادي بها.

هـ -الدافع الإنساني:

اعتقد بعض الأوربيين أن من واجبهم أن يأخذوا بأيدي الإفريقيين والآسيويين المتخلفين وأن يغيروا نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى يسايروا ركب المدنية الحديثة، وذهب البعض إلى القول بأن الاستعمار مادام ينعم على المتخلفين بالمدنية ونظمها وقوانينها فعلى الأوربيين أن يضحوا براحتهم لنشر هذه النعم بين المحكومين وقد أطلق على هذه الفكرة مسؤولية أو عبء (الرجل الأبيض)، وقد كان الدافع الإنساني الذي في جوهره إلغاء تجارة الرقيق ما هو إلا ذريعة وستار أتخذ لإخفاء المقاصد الفعلية للاستعمار، وإلا فكيف يفسر مشاركة أوربا قبل ذلك في تجارة

---

[1] - مجموعة من المؤلفين، معجم المنجد الإعلامي، مرجع سابق، ص34

الرقيق، ألم يكن هناك دافع إنساني آنذاك عندما أخذ الإفريقيون قسرا من بلادهم وبيعوا في أسواق تجارة الرقيق في أوربا.

الخاتمة

كان للنهضة الأوربية وما أنتجته من كشوفات جغرافية نتائج عكسية على شعوب قارات العالم حيث أدت إلى الاستعمار التجاري أو الماركانتيلي وهو أولى حلقات وفصول مسلسل الاستعمار الحديث، حيث صارت مستعمرة من قبل فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وايطاليا واسبانيا وألمانيا والبرتغال مع أن الأخيرة هي السابقة منذ أمد بعيد في الكشف والاستيطان، لقد بنت أوربا عالمها المتطور ولكن على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها التي تعرضت للنهب والسلب.

قائمة المصادر والمراجع

عبد الجليل علي مصطفى الخليل، حركات التحرر الوطني في العالم الثالث، الجامعة المفتوحة، طرابلس الغرب، ط1، 2000م.

مجموعة من المؤلفين، معجم المنجد الإعدادي، دار المشرق، لبنان، ط5، 1987م.

كوامي إكروما، نحو تحرير المستعمرات، ترجمة عبد العزيز عتيق، 1958م

مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، القاهرة

محمد عوض محمد، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، القاهرة، 1957م.

عبد الفتاح حسين أوعليه، إسماعيل أحمد باغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، ط3، الرياض، 1993م.

شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا من النهضة وحتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوربية وقضية الحرية، منتديات ليل الغربة، 2009م.

عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م.

مصطفى محمد علي، الكشوف الجغرافية الأوربية للقارة الإفريقية، جامعة جوبا، بدون تاريخ طبع.

عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، 2000م

فيصل محمد موسى، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1997م.

محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كر دية، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، لبنان 2007م.